من العلم لعدم مساعدة القوى البدنية لهم على الوصول الى النهاية الحسنة . بل كم من افراد انزووا في ركن التعاسة وتركوا الاقدام جانباً لمعاكسة قواهم الطبيعية لهم وكم من عائلات شقت وتشتت شعثها لسبب ضعف الامهات وعدم مقدرتهنّ على القيام بواجباتهنّ بل كم من الاطفال تدفنّ كل يوم داخل القبور المظلمة لسبب اهمال الامهات امر صحتهنّ ؟

﴿ هل يمكن للنساء ﴾

(اذا تعلمنّ أن يقمنَ بما يقوم به الرجال من الاعمال)

من المسائل الجوهرية التي يشتغل بها المصلحون الاجتماعيون في الوقت الحاضر مسألة اصلاح المرأة وتعليمها ولذلك تراهم يضعون هذه المسألة في مقدمة المسائل الجديرة بالعناية والاهتمام وهم مصيبون في ذلك لان على اصلاح المرأة وتعليمها يتوقف اصلاح العائلات واصلاح البلد واصلاح الوطن برمته . وكيف لا يكون اصلاح المرأة من المسائل الوجيهة التي تستحق العناية والاهتمام والمرأة في بيتها كالملكة فوق عرشها فاذا كانت هذه متعلمة متربية عرفت كيف تسوس مملكتها الصغيرة فتربي ابنائها تربية صحيحة بان تعلمهم الصدق وعزة النفس وتسير بهم في طرق الفضيلة فيشبوا عليها عارفين ما لهم وما عليهم من الواجبات . ولا شك في ان النساء اذا تعلمنّ تعليماً صحيحاً يمكنهنّ حينئذٍ ان يقمنَ بما يقوم به الرجال لا بل يمكنهنّ مزاحمتهنّ في الاعمال . ولو ان العناية وجهت لتعليم

المرأة في العصور الخوالي واهتم المصلحون بكسر قيود التقاليد القديمة والعادات الرثة التي كانت مقيدة بها لأصبحت حالتها اليوم غير حالتها الامس ولكان لها في الهيئة الاجتماعية مقام غير هذا المقام. ومما يؤلم ذكره هنا ان المرأة بقيت كل ايامها وهي تسبح في بحر من الجهل تتقاذفها امواج من كل صوب وكانت كلما ارتقت الايام بها خطوة الى الامام تعيدها التقاليد والعادات الى الوراء خطوات وهكذا ظلت تتلمس ضياء المدنية شيئاً فشيئاً حتى ابصرته تماماً فشعرت من وراء حجابها ان لها حيثية في الوجود وانها تشغل فيه فضاءً محدوداً فأخذت تناضل وتجاهد وتطالب بحقها المهضوم فلم يبخل الرجل عليها بتعليمها لاعتقاده ان تقدمها تقدمه وارتقائها ارتقاؤه فساعدها على التعليم واخذ بناصرها ولو ان مساعدته لها جاءت متأخرة خصوصاً في الشرق فقد كانوا يعتبرون حتى القرن الماضي ان تعليم المرأة عار وفضيحة عليها وعلى ذويها . وغني عن البيان ان المرأة الشرقية لو وجدت في زمان ما وجدته رفيقتها في الغرب لافادت الهيئة الاجتماعية المصرية فوائد جمة وكانت العائلة المصرية اليوم غير ما هي عليه الان وكنا وصلنا معاشر المصريين لو كان لنا امهات متعلمات الى حالة غير التي نحن عليها الآن ولكنه كان لسوء حظنا ان بنات الشرق بقين غارقات في الجهل ولم يفقن من ثباتهن الا في العهد الاخير . ان المرأة اذا تعلمت تقوم بما يقوم به الرجال من الاعمال وهذا مما لا يختلف فيه اثنان . ولا نذهب بالقارىء بعيداً فامامنا التاريخ تدلنا صفحاته ان المرأة قامت بما عهد اليها من الاعمال خير قيام وانها كانت في جميع اعمالها خير مثال للرجال فقد قام في

فرنسا في اواخر القرن الرابع عشر فتاة تدعى (جان دارك) كان لها من قوة الارادة وثبات العزيمة ما ضعفت امامه قوى الرجال . رأت هذه الفتاة ان اليأس تسرب الى قلوب قومها فنفخت فيهم روحاً من الرجاء وتصدرت لقيادة جيوش بلادها وحاربت الانكليز حرباً تشيب لهولها الولدان فانتصرت انتصاراً عجيباً حفظت به كرامة قومها وظهر كذلك في فرنسا امرأة فاضلة هي السيدة (ساڤينيه) التي اشتهرت في عالم الادب بمحرراتها البليغة ونصائحها الذهبية وهناك ايضاً السيدة كاترين التي اختصت بدرس العلوم الطبيعية فتبحرت فيها حتى اصبحت سيدة زمانها . وكرستين دي بيزان ايطالية المولد فرنساوية الموطن اشتهرت في اواخر القرن الرابع عشر بمنظوماتها البليغة ومن تأليفها تاريخ شارل الخامس كتبته نثراً وغيرهن مما اشتهرن في عالم الادب كثيرات ومن يقلب في صفحات تاريخ العرب يرى ذكر كثيرات من النساء اللواتي شرّفن قبائلهن بعلمهن وادبهن واقرب من ذلك شاهداً محسوساً على كفاءة المرأة ومقدرتها الملكة ڤكتوريا ملكة الانكليز التي اختصها الله بالموت في فجر القرن العشرين كانت هي القابضة على زمام امور المملكة الانكليزية الواسعة الارجاء وكانت تمد رجال حكومتها من حين لآخر بافكارها الصائبة وتشتغل معهم بحل معضلات المسائل بعقل يفوق عقول الوف من الرجال . ومن النساء الباقيات حتى الآن اللواتي يعملن اعمال الرجال الملكة ولهلمينا ملكة هولاندا هذه المرأة رغماً عن كونها لم تزل في ربيع الحياة فانها برهنت على كفاءة تفوق كفاءة الرجال وغيرها كثيرات من النساء اللواتي يقمن باعمال الرجال لو

اخذنا في تعداد فضائلهنّ وذكر اسمائهنّ لطال بنا المطال واحتجنا لمجال غير هذا المجال ويكفينا ان نقول هنا ان المرأة اذا تعلمت افادت فائدة صحيحة لانهُ لا ينقصها عن مباراة الرجال في اهمّ الاعمال غير العلم فهي اذا كانت متعلمة امكنها ان تجمع بين ادارة مملكتها الصغيرة والقيام بالاعمال الكبيرة لا بل يمكنها ان تزاحم الرجال في اهمّ الاعمال. ومما يؤثر ذكره عن مقدرة المرأة وكفاءتها على العمل قول بعضهم ان المرأة التي تهزّ السرير بيسارها تهزّ العرش بيمينها . وقد قام النساء في العهد الاخير بثورة شديدة يلتمسنَ من ورائها الوصول الى مساواتهنّ بالرجال ومنحهن كافة الامتيازات التي لا يتمتعنَ بها فمن ذلك قولهنّ للرجال [1] المستقبل لهذا الجنس الذي تحتقرونه اننا مسئولات عن نظام الهيئة الاجتماعية فليكن لنا يد في ضبط هـذا النظام . نحن نصف العالم فلنا نصفه بلا جدال . اعطونا الادارة وخذوا الأمارة . من حق السيدة ان تسود . عجزتم عن اصلاح العالم لانه لا يزال شقياً فجربونا نصلح . نحن ادرى منكنّ بعيوب الهيئة الاجتماعية ونحمل من اثقالها ما لا تحملونه فنحن اجدر باصلاحهـا ومن حقنا تخفيف هذه الاثقال . انتم تشاركوننا في كل شيء فاشركونا معكم في كل شيء . وغير ذلك كثيراً من الاقوال المأثورة عن النساء التي يظهرنَ بها رغبتهنّ للعمل. فمثل هؤلاء النسوة لا يمكننا ان نقول عنهنّ انهنّ يعجزنَ عن القيـام باعمال الرجال فاذا كنا بعد هذا البيان لا نعلم بمقدرتهنّ فلنجربهنّ اولاً ثم نصدر عليهنّ حكمنا بعد ذلك

راغب ميخائيل

(١) مجلة المجلات الانكليزية